

وصية السلطان محمد الفاتح

(٨٥٥ - ٨٨٦ هـ / ١٤٥١ - ١٤٨١ م)

لابنه بايزيد الثاني

(٨٦٦ - ٩١٨ هـ / ٤٨١ - ١٥١٢ م)

دكتورة

نعيمة عبدالله بن دهيش

قسم التاريخ والحضارة الإسلامية - كلية الشريعة

جامعة أم القرى بمكة المكرمة

المملكة العربية السعودية

وصية السلطان محمد الفاتح

(٨٥٥ - ٨٨٦ هـ / ١٤٥١ - ١٤٨١ م)

لابنه بايزيد الثاني

(٨٦٦ - ٩١٨ هـ / ٤٨١ - ١٥١٢ م)

د. نعيمة عبدالله بن دهيش

مُتَكَلِّمًا

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الأطهار.

يتناول هذا البحث وصية السلطان محمد الفاتح (٨٥٥ - ٨٨٦ هـ / ١٤٥١ - ١٤٨١ م) لأبنه بايزيد الثاني (٨٨٦ - ٩١٨ هـ / ١٤٨١ - ١٥١٢ م).

يقترن اسم السلطان محمد الثاني بحادث مهم في تاريخ الشرق الأدنى وهو فتح القسطنطينية، ولهذا علقت باسمه صفة الفاتح ولهذا السبب أيضاً تبوأ مكاناً بارزاً بين سلاطين الدولة العثمانية، وقد امتاز بدبلوماسية واعية متيقظة وطموحات واسعة لمصالح دولته، وشجاعة في الحروب، وتعمق في دراسة الجغرافيا والتاريخ والعلوم العسكرية وكان يتكلم التركية والعربية والفارسية واليونانية، وكان للسلطان محمد الثاني حروب في آسيا الصغرى، حتى قضى على مملكة طرابزون - وهي مملكة مسيحية يونانية في شمال الأناضول - وخاض حرباً ضد إمارة أوزون حسن التركمان في أعالي الفرات.

فمن خلال هذه الخبرات والثقافات للسلطان محمد الفاتح وصى ابنه بايزيد الثانى وهو على فراش الموت، فأعطاه خبراته الحياتية فى وصية؛ لكى يسير عليها ابنه من بعده، وتوسم الفاتح فى ابنه خيراً بأن يضع ما يريده فقد كان السلطان بايزيد وارثاً عن أبيه حبه للعلم وإعلاء شأن دولتهم الإسلامية فكان بايزيد محباً للأدب، متفهماً فى علوم الشريعة الإسلامية، شغوفاً بعلم الفلك، واستعان بالخبراء الفنيين اليونانيين والبلغاريين فى تحسين شبكة الطرق والجسور التى أقامها فى اسطنبول، واستطاع فى الميدان الأوروبى أن يحرز نصراً بحرياً على البنادقة فى خليج لىمانتو ببلاد اليونان ، وكان بايزيد محباً للسلام ونشطت العلاقات الدبلوماسية بين الدولة العثمانية وأوروبا فى عهده، وكانت من قبل مقصورة على البلاد الواقعة على حدودها، واهتم بايزيد ببناء الجوامع والمدارس والعمارات ودور الضيافة والتكايا والزوايا والمستشفيات للمرضى والحمامات والجسور، ومنح الهبات لفقراء الحرمين الشريفين فى مكة والمدينة، وهذه الوصية تبحث الجوانب التى تمسك بها بايزيد الثانى وفعل ما أراده أبوه، وهناك من البنود ما لم ينفذها بايزيد الثانى وسنوضح ذلك خلال البحث.

أهمية البحث وسبب اختياره:

قامت الدولة العثمانية فى القرن الرابع عشر على أنقاض دولة الروم السلاجقة، ولقد عاشت الدولة العثمانية أكثر من ستة قرون^(١)، ومما لا ريب فيه أن الدولة العثمانية قد تكاثرت حولها الافتراءات والأباطيل وليس هذا أنها كانت مبرأة من المآخذ والعيوب.

(١) لمزيد حول تاريخ الدولة العثمانية انظر كتاب د. عبد اللطيف بن دھيش: قيام الدولة العثمانية، ط٢، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٤١٥هـ.

ويعتبر التاريخ العثماني مكملاً لتاريخ الإسلام، وأن السلاطين العثمانيين كانت لهم الهيبة والمحبة في نفوس المسلمين أسوة بغيرهم من الخلفاء الأمويين والعباسيين.

وتمثل الوصية التي بين أيدينا مبادئ ومناهج حياتية لكي يسير عليها السلطان بايزيد الثاني ويسير بمقدرة فائقة على وضع النظم الإدارية والعسكرية، والاهتمام بالدين، وحب العلماء، لأن العلماء الصالحين هم البطانة التي تقود الحاكم إلى الطريق الصحيح. وتعتبر هذه الوصية عن وصية سابقة وصى بها المؤسس الأول عثمان لابنه أورخان وكلتياهما ينتج عنهما عدة عوامل أهمها: الروح الدينية الجياشة، والطبيعة العسكرية الصادقة، والموقع الجغرافي للإمارة العثمانية في الشمال الغربي للأناضول، والأوضاع السياسية في المنطقة المحيطة بالأتراك العثمانيين.

المنهج المستخدم:

استخدمت في البحث المنهج التاريخي لمعرفة الأحداث المرتبطة بفترة السلطان محمد الفاتح، وابنه السلطان بايزيد الثاني لمعرفة مدى تنفيذه للوصية التي أوصاه بها والده.

كما تعتمد على المنهج التحليلي للوقوف على الحقائق التي ورثها السلطان بايزيد الثاني عن أبيه ومدى تحقيق لهذه الوصية والجوانب التي خالف فيها الوصية وأثر ذلك على مسيرة الحياة السياسية والعسكرية والاجتماعية للدولة العثمانية في عهده.

الوصية:

هذه هى وصية محمد الفاتح لابنه وهو على فراش الموت والتى تعبر
أصدق التعبير عن منهجه فى الحياة، ومبادئه التى آمن بها والتى يتمنى من
خلفائه من بعده أن يسيروا عليها:

"ها أنذا أموت، ولكنى غير آسف؛ لأننى تاركاً خلفاً مثلك. كن عادلاً
صالحاً رحيماً، وابسط على الرعية حمايتك بدون تمييز، واعمل على نشر الدين
الإسلامى، فإن هذا هو واجب الملوك على الأرض، قدم الاهتمام بأمر الدين
على كل شئ، ولا تفتر فى المواظبة عليه ولا تستخدم الأشخاص الذين لا
يهتمون بأمر الدين، ولا يجتنبون الكبائر وينغمسون فى الفحش، وجانب البدع
المفسدة، وباعد الذين يحرضونك عليها، وسع رقعة البلاد بالجهاد واحرص
أموال بيت المال من أن تتبدد، إياك أن تمد يدك إلى مال أحد من رعيّتك إلا
بحق الإسلام، واضمن للمعوزين قوتهم، وابذل إكرامك للمستحقين. وبما أن
العلماء هم بمثابة القوة المبنوثة فى جسم الدولة، فعظم جانبهم وشجعهم، وإذا
سمعت بأحد منهم فى بلد آخر فاستقدمه إليك واکرمه بالمال، حذار حذار لا
يغرنك المال ولا الجند وإياك أن تبعد أهل الشريعة عن بابك، وإياك أن تميل
إلى عمل يخالف أحكام الشريعة، فإن الدين غايبتنا، والهداية منهجنا وبذلك
انتصرنا. خذ منى هذه العبرة: حضرت هذه البلاد كنملة صغيرة، فأعطانى الله
- تعالى - هذه النعم الجليلة، فالزم مسلكى، وأخذ حذوى، واعمل على تعزيز
هذا الدين وتوقير أهله، ولا تصرف أموال الدولة فى ترف أو لهو، أو أكثر من
قدر اللزوم، فإن ذلك من أعظم أسباب الهلاك".^(١)

(١) د. عبد السلام عبد العزيز فهمى: السلطان محمد الفاتح فتح القسطنطينية وقاهر الروم، دار القلم، دمشق،
ط٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص ١٧١، ١٧٢.

السلطان محمد الفاتح:

فى ٣٠ مارس عام ١٤٣٢م ولد السلطان محمد الثانى الذى اشتهر فى التاريخ باسم محمد الفاتح^(١) خضع الفاتح لنظام تربوى صارم تحت إشراف مجموعة من علماء عصره المعروفين مثل أقر شمس الدين، وأخضعه شيوخه إلى دراسة أكاديمية منظمة وهو ما يزال غصاً فتعلم القرآن الكريم، والحديث، والفقه، والعلوم العصرية - آنذاك. من رياضيات وفلك وتاريخ ودراسات عسكرية نظرية وتطبيقية، كان الفاتح يشترك فى الحروب التى كان يشنها والده السلطان مراد الثانى ضد أوربا، وفى صغر الفاتح أسند والده له إمارة مغنسيا تحت إشراف مجموعة من علماء الدين؛ ليؤهل لقيادة الدولة بعد ذلك.^(٢)

شكلت مجموعة من علماء الدين حياة الفاتح وفى مقدمتهم الشيخ آق شمس الدين الذى كان صارماً مع الأمير، حتى أن السلطان محمد الفاتح قال لأحد وزرائه عن شيخه هذا: "إن احترامى لهذا الشيخ احترام يأخذ بمجامع نفسى وأنا مائل فى حضرته مضرباً ويدأى ترتعشان".^(٣) وأثر فى الفاتح الشيخ الملا الكورائى، وهو عالم الدين عند العثمانيين الأوائل، حيث كان موسوعياً فى شتى علوم المعرفة فى عصره.^(٤)

ودرس الفاتح العربية والفارسية والتركية، والسلطان محمد الفاتح شاعر له ديوان شعر بالتركية، وله بيت مشهور يقول فيه:

- (١) د. محمد حرب: العثمانيون فى التاريخ والحضارة، المركز المصرى للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركى، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٤٥.
- (٢) د. محمد على الصلابى: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار للتوزيع والنشر الإسلامية، بورسعيد، مصر، ط١، ٢٠٠١م، ص ٨٩.
- (٣) د. عبد اللطيف عبد الله دهيش: قيام الدولة العثمانية، ط٢، عام ١٩٩٥م، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ص ٧٣.
- (٤) د. زكريا سليمان بيومى: قراءة جديدة فى تاريخ العثمانيين، ط١، ١٩٩١م، عالم المعرفة، القاهرة، ص ٤٦.

نيتى هى الامتثال للأمر الإلهى جاهداً فى سبيل الله
وحماسى إنما هو حماس فى سبيل دين الله^(١)

وعرف الفاتح اللغات اللاتينية واليونانية والصربية، وكان الشيخ أقر
شمس الدين يلعب دوراً مهماً فى تكوين شخصية السلطان محمد الفاتح، وإن
يبث فيه منذ صغره أمرين هما:

أحدهما: مضاعفة حركة الجهاد العثمانية.

ثانيهما: الإيماء دوماً لـ محمد الفاتح منذ صغره بأنه هو الأمير المقصود
بالحديث النبوى: "تفتح القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش
ذلك الجيش".^(٢)

عمل السلطان الفاتح على تطوير الجيش البرى والقوة البحرية وظهرت
أهميتها منذ فتح القسطنطينية وأقام العدل بين العربية، ولكى يتأكد من ذلك الأمر
كان يرسل بين الحين والحين إلى بعض رجال الدين من النصارى بالتجوال
والطواف فى أنحاء الدولة ويمنحهم مرسوماً مكتوباً يبين مهمتهم وسلطتهم
المطلقة فى التنقيب والتحرى والاستقصاء، لكى يطلعوا كيف تساس أمور الدولة
وكيف يجرى ميزان العدل بين الناس فى المحاكم، وقد أعطى هؤلاء المبعوثين
الحرية الكاملة فى النقد وتسجيل ما يرون، ثم يرفعون ذلك كله إلى السلطان.
وقد كانت تقارير هؤلاء المبعوثين النصارى تشيد دائماً بحسن سير المحاكم
وإجراء العدل بالحق.^(٣)

(١) د. محمد حرب: المرجع السابق، ص ٤٨.

(٢) رواه أحمد فى مسنده (٣٣٥/٤).

(٣) قطب الدين محمد بن أحمد المكي: البرق اليماني فى الفتح العثماني، دار اليمامة، الرياض، ط ١، عام
١٩٦٧م، ص ١٣٢.

وقد تميز عصر السلطان محمد الفاتح بإنشاءات عسكرية عديدة ومتنوعة، فأقام دور الصناعة العسكرية لسد احتياجات الجيش من الملابس والسروج والدروع ومصانع الذخيرة والأسلحة، وأقام القلاع والحصون فى المواقع ذات الأهمية العسكرية، وكان هناك صنف من الجنود يسمى "الغمجية" وظيفته الحفر للأغلام وحفر الأنفاق تحت الأرض أثناء محاصرة القلعة التى يراد فتحها.^(١)

كان فتح القسطنطينية بداية لسلسلة من الانتصارات. العثمانية الرائعة أحرزها العثمانيون فى البر والبحر، فلم تأت أواسط القرن السادس عشر، حتى استطاع العثمانيون أن يبسطوا نفوذهم على مناطق شاسعة فى أوربا الوسطى مثل: المجر ورومانيا وجنوبى بولونيا وأجزاء من شرق النمسا. وزحف العثمانيون على مدينة فينا وحاصروها لأول مرة فى سنة ١٥٢٩م، ثم حاصروها للمرة الثانية فى سنة ١٦٨٣م. وبالرغم من فشل العثمانيين فى هذين الحصارين الشهيرين، فإن مجرد وصول فتوحاتهم إلى قلب أوربا المسيحية على هذا النحو أثار الرعب والفرع فى أرجائها.^(٢)

وكان للفاتح تكتيك يدل على براعته فى فتح القسطنطينية، حيث اتخذ السلطان الفاتح وبرفقته خليل باشا موقعهم فى مواجهة المنطقة الوسطى من أسوار القسطنطينية، وبرفقتهم العديد من القوات البرية، وأصدر الفاتح أوامره بحصار السور البحرى، ونجح العثمانيون بإنزال حوالى ٧٢ سفينة إلى مياه خليج القرن الذهبى، وكان هذا الانجاز العسكرى على القسطنطينية مروعا للبيزنطيين.^(٣)

(١) يوسف أصاف: تاريخ سلاطين آل عثمان، تحقيق بسام الجبائى، دار البصائر، ط٢، ١٩٨٥م، ص ٩٢.

(٢) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، القاهرة، عام ١٨٩٦م، دار النفائس، ص ٧٤.

(٣) نيقولا ياربارو: الفتح الإسلامى للقسطنطينية يوميان الحصار ١٤٥٣م، دراسة وترجمة وتعليق د. حاتم الطحاوى، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ط١ عام ٢٠٠٢م، ص ٣٧ - ٣٩.

وحينما فتح السلطان محمد الفاتح القسطنطينية عام ٨٥٧هـ - ١٤٥٣م أمر قواده ألا يهدموا الكنائس والمعابد وأعلن باسطنبول: " ليعيش اليهود فيها وليأكلوا من أرضها ويستوطنوا أفضل أماكنها وينعموا بثروة البلاد من أنعام وفضة وذهب وليرتقوا منزلة العرش العالى" وأباح وضع الصور فى المعابد..^(١)

وخلال الأعوام ٨٥٨ - ٨٦٣هـ / ١٤٥٣م - ١٤٥٩م فتح بلاد الصرب، وفى عام ٨٦٤هـ - ١٤٦٠م فتح بلاد المور، وفى عام ٨٦٦هـ - ١٤٦٢م ضم بلاد الأفلاق، وفى خلال الأعوام ٨٦٧ - ٨٨٣هـ / ١٤٦٣م - ١٤٧٩م فتح بلاد البانيا وفى الأعوام ٨٦٧ - ٨٦٩هـ / ١٤٦٣ - ١٤٦٥م تم فتح بلاد البوسنة والهرسك، وفى عام ٨٨٠هـ - ١٤٧٦م حارب المجر. ولم ينس الغرب للفتح فتح القسطنطينية.^(٢)

وبعد عمر طويل حافل بالإنجازات والفتوحات توفى السلطان محمد الفاتح فى ساحة الجهاد وذلك فى يوم الخميس الرابع من شهر ربيع الأول عام ٨٨٦هـ - ٣ مايو ١٤٨١م وعمره اثنان وخمسين عاماً بعد أن وصى لابنه بايزيد الثانى بتولى الحكم والسير على وصيته.

مدى تحقيق بايزد الثانى للوصية:

هذه وصية السلطان محمد الفاتح لابنه وهو على فراش الموت والتي تعبر أصدق التعبير عن منهجه فى الحياة وقيمه ومبادئه التي آمن بها والتي يتمنى من خلفائه من بعده أن يسيروا عليها وقد اختتمها بالعبرة التالية:

"ها أنذا أموت، ولكنى غير آسف لأنى تارك خلفاً مثلك"

(1) د. محمد حمدان: الجماعات اليهودية فى تركيا وأثرها على المجتمع التركى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، عام ٢٠٠٩، ص ٢٨.

(2) د. محمد حرب: مرجع سابق، ص ٥٧ - ٥٨.

هذه وصية السلطان الفاتح للسلطان بايزيد الثاني بها من المبادئ والمفاهيم والقيم والإدارة، والحكمة التي آمن بها والتي يتمنى من خلفائه من بعده أن يسيروا عليها.

السؤال هنا هل نفذ السلطان بايزيد الثاني وصية والده السلطان محمد الفاتح. أما بالنسبة لقول الفاتح لابنه: كن عادلاً صالحاً رحيماً.^(١) تولى بايزيد الثاني (٨٨٦هـ - ٩١٨هـ) السلطة في البلاد، وقد خلف السلطان محمد الفاتح عند وفاته ولدين أكبرهما السلطان بايزيد وثانيهما (جم) المشهور في المصادر الغربية باسم البرنس "زيزيم" Zizim وكان حاكماً في القرماني،^(٢) وينطبق على السلطان بايزيد الثاني صفة الرحمة والعدل في أمور كثيرة، حيث أنه كان ميالاً للسلم أكثر منه إلى الحرب محباً للعلوم الدينية، ولذلك سماه بعضهم مؤرخ الترك بايزيد الصوفي، لكن دعت سياسة الدولة إلى ترك أشغاله السلمية المحضة والاشتغال بالحرب وكانت أول حروبه داخلية، وذلك أن أخاه "جم" لما بلغه خبر موت أبيه سار على الفور إلى مدينة "بورصة" فدخلها عنوة بعد أن عزل ألفي انكشاري، ثم أرسل إلى أخيه يعرض عليه الصلح بشرط تقسيم المملكة بينهما فيختص "جم" بولايات آسيا و "بايزيد" بأوروبا فلم يقبل بايزيد بل

(١) عبد السلام عبد العزيز فهمي: مرجع سابق، ص ١٧.

(٢) حينما توفي السلطان محمد الفاتح أخفى الصدر الأعظم قرماني محمد باشا موت السلطان حتى يأتي أكبر أولاده بايزيد لاستلام السلطنة، ولكن لشدة ارتباط قرماني بـ (جم) وارتباطه به أرسل إليه سراً يضبره بموت أبيه كي يحضر قبل أخيه الأكبر ويستلم مقاليد الدولة، ولكن لما أنبع الخير ثار الإنكشارية على الوزير وقتلوه وعتوا في المدينة سلباً ونهباً وأقاموا ابن السلطان بايزيد الثاني واسمه (كركود) نائباً عاماً عن أبيه لحين حضوره، ووصل بايزيد الثاني اسطنبول واستلم الحكم وأكرم الإنكشارية لحمايتهم منصب السلطنة. للمزيد راجع: محمد فريد بك.

أتى إليه وقهره بالقرب من مدينة "يكي شهر"^(١) وتابعه حتى وصل إلى تخوم البلاد التابعة لمصر فهرب جم إلى مصر وأقام بها.^(٢)

ومما يدل على تطبيق هذا البند من الوصية حينما عاد من حدود مصر إلى عاصمته طلب منه الإنكشارية أن يبيع لهم نهب مدينة بورصة مجازة لها على قبولها الأمير جم فلم يوافقهم على ذلك، ومن ذكائه ورحمته أنه دفع لهم أموالاً، وأعطى أيضاً الإنكشارية أموالاً خوفاً من حصول شغب منهم.^(٣)

وأما عن قول الفاتح لـ بايزيد : اعمل على نشر الدين الإسلامي، فإن هذا هو واجب الملوك على الأرض، ووسع رقعة البلاد بالجهاد. ولذلك استطاع بايزيد الثاني أن يحرز نصراً مجرياً على البنادقة في خليج لبنانو ببلاد اليونان عام ١٤٩٩م / ٩٠٥هـ وفي العام التالي استولى على مدينة لبنانو وباستيلاء العثمانيين على مواقع البنادقة في اليونان، أقام البابا (إسكندر السادس) بناء على طلب البنادقة في اليونان حلفاً ضد العثمانيين مكوناً من فرنسا وأسبانيا وتعرض العثمانيون لهجوم الأساطيل الثلاثة: الفرنسية والأسبانية والبابوية واستطاعت الدولة العثمانية أن تعقد صلحاً مع البنادقة.^(٤) كان بايزيد ميالاً للسلام، ونشطت العلاقات الدبلوماسية بين الدولة العثمانية وأوروبا وكانت من قبل مقصورة على

(١) يكي شهر أو يني شهر: تقع إلى الجنوب من بحيرة أزنك في شمال غرب الأناضول، انظر: يلماز أوزوتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، د/ محمود الأنصاري، مجلد ١، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، استانبول، ص ١٦٧.

(٢) يلماز أوزوتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سلمان د/ محمود الأنصاري، مجلد ١، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، استانبول، ص ١٦٧.

(٣) د. إسماعيل ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، ط١، ١٩٩٦م، ص ٥٢.

(٤) ثريا شاهين: دور الكنيسة في هم الدولة العثمانية، ترجمة د. محمد حرب، دار المنار للنشر، ط١، ١٩٩٧م، ص ٩٢.

البلاد الواقعة على حدودها، ولكنها توسعت بعد ذلك فأقيمت بينهما وبين البابوية وفلورنسا ونابلى وفرنسا علاقات قوية وعقدت صلحاً مع البنادقة والمجر.^(١) وأما عن قول الفاتح لابنه: "اضمن للمعوزين قوتهم وابذل إكرامك للمستحقين واعمل على نشر الدين الإسلامي، فإن هذا هو واجب الملوك على الأرض. وقدّم الاهتمام بأمر الدين على كل شيء ولا تفتر في المواظبة عليه"

لقد حدثت معارك بين العثمانيين والمماليك على الحدود الشامية إلا أنها لم تحتدم إلى حد التهديد بحدوث حرب شاملة بينهما وإن كانت قد أسهمت في أن يخيم شعور بعدم الثقة بينهما الأمر الذي أدى إلى تعثر مفاوضات الصلح سنة ٨٩٧هـ / ١٤٩١م ومع أن السلطان المملوكى "قايتباى" قد ساورته مخاوف من احتمال قيام حرب واسعة بينه وبين العثمانيين سواء لإدراكه ما كان عليه العثمانيون من قوة ولانشغال جزء مهم من قواته في مواجهة البرتغاليين، إلا أن السلطان العثمانى "بايزيد الثانى" قد بدت له هذه المخاوف، حيث قام بإرسال رسول من قبله إلى السلطان المملوكى سنة ٨٩٧هـ - ١٤٩١م ومعه مفاتيح القلاع التى استولى عليها العثمانيون على الحدود^(٢)، وقد لقى هذا الأمر ترحيباً لدى السلطان المملوكى فقام بإطلاق سراح الأسرى العثمانيين والممالك فى السنة نفسها ١٤٩١م، وظل هذا الصلح سارياً حتى نهاية عهد السلطان بايزيد الثانى عام ١٥١٢م وأكد هذا الحدث حرص بايزيد على سياسة السلام مع المسلمين.^(٣)

(١) د. محمد على الصلابى: مرجع سابق، ص ١٥٧.

(٢) إسماعيل ياغى: مرجع سابق، ص ٥١، ٥٢.

(٣) قيس جواد العزوى: مرجع سابق، ص ٦٦.

أما بالنسبة لدبلوماسية السلطان بايزيد الثانى مع الغرب:

استمرت رؤية الجهاد مرفوعة طيلة عهد السلطان بايزيد الثانى، وأدرك الأعداء أنهم لا يستطيعون مواجهة القوات الجهادية فى حرب نظامية يحققون فيها أطماعهم، لهذا لجأوا إلى أسلوب خبيث تستروا به تحت مسمى العلاقات الدبلوماسية لى ينخروا فى عظام الأمة ويدمروا المجتمع المسلم من الداخل ففى عهد السلطان بايزيد وصل أول سفير روسى إلى (اسطنبول) عام (٨٩٨هـ / ١٤٩٢م).^(١)

إن وصول السفير الروسى عام (١٤٩٢م) على عهد دوق موسكو (وايفان) وما تابع ذلك، وما أعطى له ولغيره من حصانة وامتيازات، فتح الباب أمام أعداء الأمة الإسلامية لكشف ضعفها ومعرفة عوراتها والعمل على إفسادها والتآمر عليها بعد تدميرها وإضعاف سلطان العقيدة فى نفوس أبنائها.^(٢) وفى عهد بايزيد الثانى منذ توليه عام (٨٨٦هـ) استطاع دوق موسكو (إيفان الثالث) أن ينتزع إمارة موسكو من أيدي المسلمين العثمانيين، وبدأ التوسع على حساب الولايات الإسلامية.^(٣)

لا يعنى ذلك أن السلطان (بايزيد الثانى) وقف موقفاً ضعيفاً أمام هذه الظروف ولكن الدولة كانت تمر بظروف صعبة فى محاربتها لإعداء الإسلام على امتداد شبه جزيرة الأناضول وأوربا الشرقية كلها فانشغلت بها.^(٤) أما عن وقوف بايزيد الثانى مع مسلمى الأندلس فلقد كانت له ظروفه حيث تطورت الأحداث فى شبه الجزيرة الأيبيرية فى مطلع العصور الحديثة

(١) د. جمال عبد الهادى وآخرون: الدولة العثمانية أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ، دار الوفاء، ط١، عام ١٩٩٤م، ص ٤٩.

(٢) د. نبيل عبد الحى: جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس، مكتبة الطالب الجامعى، ط١، ١٩٨٨، ص ١٣٢.

(٣) د. جمال عبد الهادى، مرجع سابق، ص ٥٠.

(٤) زيادة أبو غنيم: جرائب مضينة فى تاريخ العثمانيين، دار الفرقان، ط١، ١٩٨٣، ص ٨٦.

فأصبح اهتمام الأسبان ينحصر فى توحيد أراضيتهم، وانتزاع ما تبقى للمسلمين بها خصوصاً بعدما خضعت لسلطة واحدة بعد زواج إيزابيلا ملكة قشتالة وفرويناند ملك أراغون فاندفعت الممالك الأسبانية المتحدة قبيل سقوط غرناطة فى تصفية الوجود الإسلامى فى كل أسبانيا حتى يفرغوا أنفسهم ويركزوا اهتمامهم على المملكة الإسلامية الوحيدة غرناطة، التى كانت رمزاً للمملكة الإسلامية الذهبية.^(١)

وفرضت أسبانيا أقصى الإجراءات التعسفية على المسلمين فى محاولة لتتصيرهم وتضييق الخناق عليهم حتى يرحلوا من شبه الجزيرة الأيبيرية.^(٢) نتيجة لذلك لجأ المسلمون - المورسكيون - إلى القيام بثورات وانتفاضات فى أغلب المدن الأسبانية والتى يوجد بها أكثرية مسلمة وخاصة غرناطة وبلنسية، وأخمدت تلك الثورات بدون رحمة ولا شفقة من قبل السلطات الأسبانية التى اتخذت وسيلة لتعميق الكرة والحقن للمسلمين، ومن جهة أخرى كان من الطبيعى أن يرنوا المورسكيون بأنظارهم إلى ملوك المسلمين فى المشرق والمغرب لإنقاذهم وتكررت دعوات وفودهم ورسائلهم إليهم للعمل على أنقاذهم مما يعانونه من ظلم^(٣) وخاصة من قبل رجال الكنيسة ودواوين التحقيق التى عاثت فى الأرض فساداً وأحلت لنفسها كل أنواع العقوبات وتسلطها عليهم.^(٤)

وكانت أخبار الأندلس قد وصلت إلى المشرق فارتج لها العالم الإسلامى، وبعث الملك الأشرف إلى البابا وملوك النصرانية يذكرهم بأن النصارى الذين هم تحت حمايته يتمتعون بالحرية فى حين أن أبناء دينه فى المدن الأسبانية

(١) د. نبيل عبد الحى: مرجع سابق، ص ١٤٢.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٤٦.

(٣) قيس جواد العزوى: ص ٦١.

(٤) المرجع السابق: ص ٦٣.

يعانون أشد أنواع الظلم، وقد هدد بإتباع سياسة التنكيل والقصاص تجاه الرعايا المسيحيين، إذ لم يكف ملك قشتالة وأراغون عن هذا الاعتداء وترجيل المسلمين عن أراضيهم وعدم التعرض لهم ورد ما أخذ من أراضيهم، ولم يستجيب البابا والملكان الكاثوليكيان لهذا التهديد من قبل الملك الأشرف ومارسوا خطتهم فى تصفية الوجود الإسلامى فى الأندلس.^(١) وجددت رسائل الاستجداد لدى السلطان العثمانى بايزيد الثانى فوصلته هذه الرسالة: (الحضرة العلية، وصل الله سعادتها وأعلى كلمتها، ومهد أقطارها وأعز أنصارها وأذل أعداءها حضرة مولانا وعمدة ديننا ودينانا، السلطان الملك الناصر ناصر الدين والدنيا سلطان الإسلام والمسلمين، وقامع أعداء الله الكافرين كهف الإسلام وناصر دين نبينا محمد عليه السلام محبى العدل ومنصف المظلوم ممن ظلم ملك العرب والعجم والترك والديلم ظل الله فى أرضه، القائم بسنته وفرضه ملك البرين وسلطان البحرين حامى ومانع الكفار مولانا عمدتنا وكهفنا وغيثنا لازال إلى ملكه موفور الأنصار مقروناً بالانتصار مخلص المآثر والأثار مشهور المعالى والفخار مستأثراً من الحسنات بما يضاعف به الأجر الجزيل فى الدار الآخرة والثناء الجميل والنصر فى هذه الدار ولا برحت عزماته العلية مختصة بفضائل الجهاد ومجرد على أعداء الدين من بأسها ما يروى صدور السحر والصفاح وألسنة السلام بأذلة نفائس الذخائر فى المواطن التى تألف فيها الأخابر مفارقه الأرواح للأجساد سالكة سبيل السابقين الفائزين برضا الله وطاعته يوم يقوم الأشهاد، وكانت ضمن الرسالة أبيات قصيدة يمدح صاحبها فيها الدولة العثمانية والسلطان بايزيد ويدعو للدولة بدوام البقاء.^(٢)

(١) عبد السلام عبد العزيز فهمى، ص ١٩٢.

(٢) المرجع السابق، ص ١٩٧، ١٩٨.

كانت هذه رسالة الاستتصار التي بعث بها المسلمون في الأندلس؛ لإنقاذ الموقف هناك وكان السلطان بايزيد يعاني من العوائق التي تمنعه من إرسال المجاهدين، بالإضافة إلى مشكلة النزاع على العرض مع الأمير جم، وما أثار ذلك من مشاكل مع البابوية في روما وبعض الدول الأوروبية وهجوم البولنديين على مولدافيا والحرب في ترانسلفانيا والمجر والبندقية وتكوين التحالف الصليبي الجديد ضد الدولة العثمانية من البابا جويلس الثاني وجمهورية البندقية والمجر وفرنسا وما أسفر عنه هذا التحالف من توجيه القوة العثمانية لتلك المناطق، ومع ذلك قام السلطان بايزيد بتقديم المساعدة وتعاهد مع السلطان المملوكي الأشرف لتوحيد الجهود من أجل مساعدة غرناطة ووقعا اتفاقاً بموجبه يرسل السلطان بايزيد أسطولاً على سواحل صقلية باعتبارها تابعة لمملكة أسبانيا وأن يجهز السلطان المملوكي حملات أخرى من ناحية أفريقيا وبالفعل أرسل السلطان بايزيد أسطولاً عثمانياً تحول إلى الشواطئ الأسبانية وقد أعطى قيادته إلى كمال ريس الذي أدخل الفزع والخوف والرعب في الأساطيل النصرانية في أواخر القرن الخامس عشر، كما شجع السلطان بايزيد المجاهدين في البحر بإبداء اهتمامه وعطفه عليهم، وكان المجاهدون العثمانيون قد بدأوا في التحرك لنجدة إخوانهم المسلمين. وكانت تصرفات (جم) المشينة سبباً أعاق حركة التوسع الإقليمي وعرقلت السلطان بايزيد عن العمل الخلاق، وأصبح اهتمام السلطان منصباً على تعقب أخبار أخيه والعمل على التخلص منه بكل الوسائل.

وأما عن قوله لابنه: وسّع رقعة البلاد بالجهاد:

إن السلاطين العثمانيين الأوائل قاموا بتوسيع رقعة الدولة بالجهاد وبسطوا الأمن وقمعوا الأخطار التي هددت دولتهم، وعملوا على تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة حتى لا يستطيع الأعداء أن يظفروا بثغرة أو ينتهكوا محرماً ويسفكوا دمًا مسلمًا أو معاهدًا، وعمل السلطان محمد ومن قبله ومن بعده على إعداد الأمة إعداداً جهادياً وقام بواجبه في جهاد الكفرة المعاندين للإسلام حتى يسلموا أو يدخلوا في ذمة المسلمين: ولقد صبغ المجتمع العثماني بالصبغة الإسلامية الجهادية الدعوية، وكان أفراد الجيش يعدون للحياة الجهادية العنيفة منذ نعومة أظافرهم إعداداً دقيقاً كاملاً، ولقد حققت الجيوش العثمانية انتصارات رفيعة في الساحات الأوروبية^(١)، لقد حققت الدولة العثمانية إلى عهد سليمان القانوني آمالاً عظيمة كان يستهدفها المسلمون منذ تسعة قرون برفع الراية المحمدية على قلاع كثير من العواصم الكبرى في أوروبا وإخضاع كثير من الممالك والإمارات للحكومة الإسلامية، وأخذ ظل الإسلام يمتد حتى أوشكت جيوش المسلمين في شرق أوروبا وغربها أن تلتقي في الأرض الكبيرة^(٢).

ومن المؤتمر السابع لوزارة خارجية الدول الإسلامية في إسطنبول ألقى المجاهد البروفسور المهندس نجم الدين أربكان خطاباً استرجع فيه صدى الماضي الإسلامي الذي مثلته الدولة العثمانية فقال: (... إن هذا القصر الذي شاء الله أن يعقد فيه هذا المؤتمر الإسلامي الكبير وقد نقشت على بابه كلمة الإسلام الجامعة: (لا إله إلا الله) ... هو قصر السلطان محمد الفاتح الذي بناه عقب فتح إسطنبول ... كيف لا يكون هذا المكان تاريخياً ومنه كانت تدبر شؤون العالم الإسلامي رداً من الزمن؟ وكيف لا يكون لتاريخنا ومنه كانت تتطلق

(١) انظر: المسألة الشرقية، ص ٦٠.

(٢) انظر: المسألة الشرقية، ص ٦٣.

جيوش المسلمين إلى جميع أنحاء الدنيا، مجاهدة في سبيل الله، تنشر النور والهداية والعدل أينما حلت وحيثما ضربت ... كيف لا يكون تاريخياً وفوق هذا الحجر الذي يركز عليه الميكروفون كانت تنصب رايات الجيوش الإسلامية، المنطقة للذب عن ديار المسلمين جميعاً ... وأذكر على سبيل المثال لا الحصر: إن قرار إرسال الأسطول الإسلامي للحيلولة دون وقوع كل من إندونيسيا والفلبين في براثن الاستعمار الهولندي اتخذ من هذا المكان، وفيه أيضاً اتخذت قرارات إرسال الجيوش والأساطيل الإسلامية لحماية شمال إفريقيا من الغزاة الطامعين".^(١)

لقد كانت الدولة تعطي لمبدأ الجهاد أهمية قصوى ولذلك أعدت شعبها وجيشها لتحقيق هذا المبدأ الرباني، وحققت من خلاله ثمرات مهمة للإسلام والمسلمين من أهمها:

- إعزاز المسلمين وإذلال الكافرين.
- دخول الناس في دين الله أفواجا^(٢).
- إسعاد الناس بنور الإسلام وعدله ورحمته.
- لقد انصبغت الدولة العثمانية بالروح الجهادية ووضعت أهدافاً لها من أهمها:
- إقامة حكم الله ونظام الإسلام في الأرض.
- دفع عدوان الكافرين.
- إزاحة الظلم عن الناس.
- نشر الدعوة الإسلامية بين البشر^(٣).

ولقد اهتم السلطان بايزيد الثاني بإنشاء المباني العامة وفعل الخيرات، فبنى الجوامع والمدارس والعمارات ودور الضيافة والتكايا والزوايا

(١) انظر: المسألة الشرقية، ص ٦٣-٦٥.

(٢) علي محمد الصلابي، فقه التمكن في القرآن الكريم، ص ٣٦٥ - ٣٦٩.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٣٦٦ - ٣٦٧.

والمستشفيات للمرضى والحمامات والجسور^(١) ورتب للمفتى ومن فى رتبته من العلماء فى زمنه كل عام عشرة آلاف عثمانى، ولكل واحد من مدرّس المدارس السلطانية ما بين سبعة آلاف وألفى عثمانى، وكذلك رتب لمشايخ الطرق الصوفية ومريديهم، ولأهل الزوايا كل واحد على قدر رتبته، وصار ذلك أمراً جارياً ومستمراً، وكان يحب أهل الحرمين الشريفين - مكة والمدينة - ويكرمهم بالعطايا.^(٢)

وأما قوله: ولا تستخدم الأشخاص الذي لا يهتمون بأمر الدين ولا يجتنبون الكبائر وينغمسون فى الفحش:

لذلك اهتم سلاطين الدولة العثمانية ومنهم السلطان بايزيد الثانى بإنشاء جامعات لتخريج قادة للجيش وللوظائف المهمة فى الدولة ووضعوا منهجاً تربوياً لإعداد القادة وخصوصاً فى داخل الجيوش وحرصوا على أن يختاروا لمناصب الدولة الأمناء والأكفاء أصحاب العقول والنهى والتقوى، وأسندوا إليهم الولايات والقيادات فى الجيوش ومناصب القضاة، وباعدوا عنهم كل من لا يهتم بأمر الدين، ويجتنب الكبائر والفواحش هكذا كان السلاطين الأوائل. إن السلاطين العثمانيين الأوائل ساروا على منهج أهل السنة والجماعة، وعرفوا خطورة البدع والافتراء من أصحابها، واكتفوا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع الأمة واجتهادات العلماء الراسخين. ولذلك كانت وصية السلطان محمد - رحمه الله - لمن بعده: (جانب البدع المفسدة وباعد الذين يحرضونك عليها). لأن الشريعة الإسلامية بينت بالقرآن الكريم والسنة النبوية خطر البدع والخرافات على الأمة الإسلامية أفراداً وجماعات.

(١) عبد العزيز الشناوى: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية، مطابع جامعة القاهرة، علم ١٩٨٠م، ج٢، ص ٧١٨.

(٢) قيس جواد العزوى: الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، مركز دراسات الإسلام والعالم، ط١، ١٩٩٤م، ص ٥٢.

**وقوله: ولا تصرف أموال الدولة في ترف أو لهو أو أكثر من قدر
اللزوم فإن ذلك من أعظم أسباب الهلاك:**

إن هذه الوصية ترشد ولي عهد السلطان محمد الفاتح وخليفته السلطان
بايزيد الثانى إلى إتباع منهج الاعتدال والتوسط في الاستهلاك وهذه الوصية فهم
لأمر الله ورسوله بالقصد والتوسط ولقد أنزل الله كثيراً من الآيات التي تمتدح
النفقة وذم ما سواها من البخل والشح والتبذير والإسراف والترف.
إن السلطان محمداً الفاتح يرى وجوب ابتعاد الحاكم ودولته عن الإسراف
لأن فيه معصية الله ورسوله.

إن الدولة العثمانية كدولة مجاهدة كانت لها خطة اقتصادية لتدبير موارد
الأمة في ظروف الحرب لتأمين احتياجات جيشها، وتوفير الحاجات الضرورية
لشعبها من السلع والخدمات، ولذلك كان السلاطين الأوائل في الدولة العثمانية
يمنعون الإسراف والتبذير في القطاع الحكومي والقطاع الخاص وكانت الدولة
ترشد الاستهلاك العام والخاص حتى لا تقع الأمة في أزمات اقتصادية خلال
الحرب التي قد تسبب في هزائم الأمم، فكانت الدولة بالتعاون مع قطاعات
أخرى حكومية وشعبية تقوم بما يلي:

- ١- توفير الأموال اللازمة للإنفاق على الحرب، وعلى ضروريات المجتمع
من الغذاء والدواء والحماية.
- ٢- توفير الإمدادات اللازمة خلال الحروب والأزمات.
- ٣- تعويض النقص من مخزون السلع والأجهزة الحيوية من الإنتاج المحلي
بقدر الإمكان.
- ٤- السيطرة على التضخم في الأسعار الذي يصاحب عادة حالات الحرب.
- ٥- التوزيع العادل للسلع والخدمات الضرورية بما يؤمن حد الكفاية لكل

فئات المجتمع^(١).

إن الدول التي تقع في الترف واللهو وتصرف أموالها في غير محلها مآلها إلى الهلاك والدمار، ولقد أدى الترف إلى انغماس بعض السلاطين المتأخرين في حياة الفسق واللهو بحيث يقضون أوقاتهم في الملذات وبين الحريم، وقد أدى ذلك إلى الابتعاد عن أمور الحكم وتركها للصدور العظام وللحريم، فانعكس ذلك على ضعف السلاطين، وعدم قدرتهم على تسيير أمور الدولة وقيادة الجيش، مما أثر على أوضاع الدولة وأدى إلى ضعفها ثم اضمحلالها وضياها فيما بعد^(٢).

لقد كان بايزيد عالماً في العلوم العربية والإسلامية، كما كان عالماً في الفلك مهتماً بالأدب مكرماً للشعراء والعلماء، ولذلك خصص مرتبات أكثر من ثلاثين شاعراً^(٣)، كما أنه منع الإسراف والتبذير ووضع قواعد للصرف من موارد الدولة ومدخراتها وتحديد جهات الصرف وقواعد ثابتة للإنفاق المالي سار عليها من جاء من بعده.

واعمل على تعزيز هذا الدين وتوقير أهله:

إن تعزيز هذا الدين وإقامته في الأرض يحقق نتائج طيبة في حياة الأمة والدولة، ومن هذه النتائج تهذيب النفس من الشرور والآثام وترويضها على الخير.

لذا كان الوازع الديني ثمرة من ثمار تعزيز هذا الدين ويكون مانعاً من ارتكاب الجريمة ومحاسبة النفس عليها، ويكون ماثلاً أمام العين مما يجعل النفس تخشى الله وتتقيه دائماً وأبداً.

(١) انظر: اقتصاديات الحرب في الإسلام، ص ٣٣٩.

(٢) انظر: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي، ص ٩٤.

(٣) القرملي: تاريخ سلاطين آل عثمان، دار البصائر، دمشق، سوريا، ط ١، ١٩٨٥م، ص ١٤٢.

كما أن تعزيز الدين وإقامة الشرع يحقق المساواة بين الراعي والرعية في الحقوق والواجبات، وتنتشر العدالة في الدولة الإسلامية لجميع ساكنيها. كما أن في تطبيق الشريعة الإسلامية نزول البركة، وتوالي النعم، إذ ليس هناك طريق مستقل لحسن الجزاء في الآخرة وطريق مستقل لصالح الحياة في الدنيا، إنما هو طريق واحد تصلح به الدنيا والآخرة، وفي تطبيقها بركات في النفوس وبركات في المشاعر وبركات في طيبات الحياة، فالبركة قد تكون مع القليل إذا أحسن الانتفاع به.

ومن نتائج تطبيقها بناء مجتمع إسلامي معتز بدينه وعقيدته بما يلتزمه من سلوك مصدره كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ففيهما المواد اللازمة لبناء الفرد المسلم والجماعة المسلمة والأمة المسلمة والدولة المسلمة. كما أن من النتائج حفز الهمم، وبعث النفوس إلى الأخذ بأسباب العلم والحضارة والرفق والتقدم لما تضمنته تلك الشريعة من الدعوة إلى الحياة كما أنها تتضمن نبذ عن الحياة الحضارية لمجتمعات الرذيلة أيًا كانت وأينما وجدت^(١). وهذا المنهج عمل به السلطان محمد الفاتح وابنه السلطان بايزيد الثاني ومعظم من سبقهما أو خلفهما.

حذار حذار لا يغرنك المال ولا الجند وإياك أن تبعد أهل الشريعة عن بابك، وإياك أن تميل إلى أي عمل يخالف أحكام الشريعة فإن الدين غايتنا والهداية منهجنا وبذلك انتصرنا:

إن السلطان محمد الفاتح يحذر ابنه السلطان بايزيد الثاني وليه من بعده أن يغتر بالمال أو الجند، ويبين له خطورة إبعاد العلماء والفقهاء عن الحاكم، كما يحذره من أن يخالف أحكام الشريعة، لأن ذلك يجلب للأفراد والأمة تعاسة

(١) انظر: تطبيق الشريعة الإسلامية للطريقي، ص ٦٠، ٦١.

وضنكاً في الدنيا وهلاكاً وعذاباً في الآخرة، وإن آثار الابتعاد عن شرع الله وأحكامه تبدو واضحة على حياة الأمة في وجهتها الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

كما يترتب على ذلك توقف حركة الفتوح الإسلامية وتحرم شعوب كثيرة من سعادتها في الدنيا والآخرة بسبب تضييع أحكام الشريعة وارتكاب ما يخالفها من أفعال فبيحة، وتحدث الحروب فيما بين المسلمين، وتكثر الاعتداءات على الأنفس والأموال والأعراض، كما يقوى الأعداء وتشتد شوكتهم وهذا قد يغيب نصر الله على الإسلام والمسلمين ويحرموا من التمكين ويصبحوا في خوف وفرع وجوع، وتضيع المدن والقرى ويتسلط عليها الأعداء وتتوالى المصائب وهذا ما حدث في تاريخ الدولة العثمانية المتأخر.

إن السر في قوة العثمانيين وعزهم وشرفهم كامنة في طاعة الله وتنفيذ أحكامه، والالتزام بشريعته والجهاد في سبيله والدعوة إليه ولذلك قال محمد الفاتح لابنه: (فإن الدين غايتنا والهداية منهجنا وبذلك انتصرنا).

كان محمد الفاتح وهو يمثل إسلامه وعقيدته ومنهجه الإسلامي في الحرب على تعاليم الصديق أبي بكر رضي الله عنه في معاملته للروم (لاتخونوا، ولا تغلو ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرّون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له... اندفعوا باسم الله)^(١).

لقد دخل محمد الفاتح إلى قلب العاصمة البيزنطية وأعطى عالم الغرب النصراني دروساً في العدالة والرحمة وأصبحت معلماً من معالم التاريخ العثماني.

(١) انظر: المصدر السابق، ص ١٠٦.

لقد سارت الدولة العثمانية على المنهج الإسلامي، فأخذت منه العدالة والرحمة بالرعايا الذين حكموهم.

إن العدالة والرحمة الإسلامية هما اللذان مكنا للعثمانيين في أوروبا، وبالعادل والرحمة خرجت هذه الأمم من همجيتها وقسوتها وعرفت المساواة والإنصاف، ويكفي أن تعلم أن استرقاق الطوائف بأشنع صورة كان نظاماً دولياً متعاهداً عليه في أوروبا الوسطى والجنوبية إلى أن قضى عليه العثمانيون. وكانت هناك عهود دولية بين الملداف والبولونيين والمجر لتسليم كل فلاح يرحل من مزرعة سيده من (البويار) إلى أحد هذه الأوطان، وكانت المزارع تباع بما عليها من الحيوانات والفلاحين.

جاء العثمانيون إلى أوروبا يحملون بين صدورهم عاطفة الرحمة كما أرادها صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم، ولم يكن الأتراك أكثر عداوة ولا عدداً من أية أمة من الأمم التي سادوها، فوصلوا على رؤوسهم جميعاً إلى فيينا، تمهد لهم الرحمة صعاب الجبال والبحار والوهاد، كما مهدت للعرب قبلهم أفريقيا وآسيا^(١).

إن محمد الفاتح سار على منهج الرحمة والعدالة وأوصى ابنه وأحفاده من بعده أن يلتزموا المنهج نفسه الذي يمثل حقيقة الإسلام.

وابسط على رعيته حمايتك دون تمييز:

هذا ما قام به السلطان محمد بنفسه حيث حرص على حماية كل رعايا الدولة سواء أكانوا مسلمين أو نصارى.

ومن القصص اللطيفة في هذا المعنى أنه كان على أهل جزيرة خيوس دَين قدره أربعون ألف دوقة لتاجر من تجار (غلطة) يدعى فرانسسكو درا بيريو، ولما عجز هذا الدائن عن استرداد دينه من أهل الجزيرة رأى السلطان الفاتح أن يقوم هو بهذا الأمر بوصف أن هذا التاجر من رعاياه الذين يجب على الدولة العثمانية حمايتهم واستيفاء حقوقهم واستجاب السلطان لرغبة التاجر

(١) انظر: المسألة الشرقية، ص ١٠٧.

فأرسل إلى الجزيرة عدة سفن بقيادة حمزة باشا إلا أن أهالي جزيرة خيوس قتلوا بعض الجنود ورفضوا الانقياد ودفع الحقوق، فقال محمد الفاتح للتاجر درا بيريو (أنا الذي سيتحمل رد دينك من أهل الجزيرة وسأطلب به مضاعفاً ثمناً لدم الجنود الذين هلكوا)^(١).

وسير السلطان إلى هذه الجزيرة أسطولاً وقام هو بقيادة الجيوش بنفسه إلى الجزر القريبة منها وفتح أينوس بغير حرب ولا قتال، وبادرت جزيرتا أيمبروس وساموتراس إلى الاستسلام وفتحتا أبوابهما على مصاريعهما للعثمانيين، فاضطرت جزيرة خيوس إلى دفع ما عليها من دين للتاجر الجنوي ودفعت للسلطان جزية سنوية قدرها ستة آلاف دوقية، ودفعت له فوق ذلك تعويضاً للسفن العثمانية التي غرقت^(٢). إن حماية الرعية والحفاظ على حقوقهم من واجبات الدولة الإسلامية.

كان السلطان محمد الفاتح في حروبه لا ينسى أنه داعية إلى الإسلام، ولذلك كان يشجع قواده وجنوده على نشر الدين والعقيدة والإسلام ويثني على القادة الذين تفتح المدن على أيديهم، فعندما أمر قائده عمر بن طرخان أن يزحف بجيشه إلى أثينا واستولى عليها وضمها إلى الدولة العثمانية، وتحرك القائد عمر بجيشه واضطرت المدينة للتسليم وزار السلطان الفاتح المدينة بعد عامين من فتحها قال: (ما أعظم ما يدين به الإسلام لابن طرخان).

لقد اهتمت الدولة العثمانية بالدعوة إلى الله وتركزت بصماتها قوية واضحة في مجال نشر الدعوة في أوروبا، فعلى امتداد قرون وتعاقب عصور ودهور ظلت جماعات إسلامية تقاوم شتى أنواع الضغوط التي بذلت لتحويلها إلى المسيحية، ولا زالت هذه الأقليات الإسلامية تعيش إلى يومنا هذا في بلغاريا ورومانيا وألبانيا واليونان ويوغسلافيا يصل أعدادها إلى الملايين من البشر^(٣).

(١) انظر: محمد الفاتح، ص ٢١٦.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٢١٨.

(٣) انظر: للدولة العثمانية دولة إسلامية، د. عبدالعزيز الشناوي: ٢٩/١، ٣٠.

وهذا يرجع إلى فضل الله على تلك الشعوب ثم إلى سياسة السلاطين العثمانيين الذين كانوا يحرصون على هداية الناس ودخولهم في الإسلام.

إن سلاطين الدولة العثمانية قبل زمن محمد الفاتح وبعده نشأوا نشأة إسلامية خالصة، مليئة بإيمان عميق، متوجهة إلى أهداف عقائدية صريحة، خاضوا من أجلها حروباً دينية شديدة، وكانت أجمل عبارة على ألسنة العثمانيين عند التنادي للجهاد الزحف إلى الفتوحات إما غاز وإما شهيد، فمنذ بداية تأسيسها أطلق على زعيمها لقب الغازي - أي المجاهد في سبيل الله - وظل هذا اللقب الرفيع يتقدم كل الألقاب والنعوت بالنسبة للسلاطين العظام، وكانت غاية الدولة العثمانية (الدفاع عن الإسلام ورفع رايته على الأنام).

لذلك صبغت الدولة، شعباً وسلطاناً، حكومة وجيشاً، ثقافة وتشريعاً، نهجاً وضميراً، هدفاً ورسالة، بصبغة إسلامية خالصة منذ النشأة وعلى مدى سبعة قرون، لقد كان اهتمام السلاطين بأمر الدين عظيماً وقدموه على كل شيء، وواظبوا عليه إلى أقصى حدود، وأكدوا أنهم لا ينتسبون إلا للإسلام وتراثه وحضارته وكان الوطن عندهم هو كل أرض يسكنها المسلمون، وكلمة الملة تعني الأمة والدين معاً، وذلك كان هدف المنهج التربوي في جميع المدارس والجامعات والمعاهد، تصاغ به نفوس الناشئة منذ بداية تعليمهم في الكتاتيب وجميع المسلمين كانوا يسجلون في دوائر النفوس - سجلات المواليد - وفي التذاكر العثمانية - بطاقات الهوية - كمسلمين فحسب، دون أن يذكر إلى جانب ذلك فيما إذا كانوا من الأتراك، أو من العرب أو من الشراكسة أو الألبان أو الأكراد، إن ما يهم الدولة كان ينحصر في ملتهم في ديارنتهم؛ إنهم مسلمون وكفى، واعتبر العثمانيون أي مقاتل مسلم جاهد في سبيل الله ميراثهم البطولي وخليفتهم التاريخية، وإن تباينت الأنساب، وتباعدت الأزمان؛ من ذلك المجاهد (عبدالله البطال) الذي استشهد في معركة أكرنيون في آسيا الصغرى عام ١٢٢ للهجرة، زمن الدولة الأموية والذي يقول عنه الطبري وهو يعلق على حوادث

سنة ١٢٢هـ: (وفيها قتل عبدالله البطال في جماعة من المسلمين بأرض الروم)^(١).

يعتبره العثمانيون بطلهم القومي وبين (عبدالله البطال) العربي وقيام الدولة العثمانية ما يقرب من سبعمائة عام، لقد كان تاريخ العثمانيين وأبطال العثمانيين، نسب الإسلام، وتاريخ الإسلام، ومجاهدي الإسلام^(٢).
إن سلاطين الدولة العثمانية كانوا يلقبون بكثير من الألقاب والنعوت التي تبين أن هدفهم الأكبر ومقصدهم الأسمى هو خدمة دين الله تعالى، فكانوا يلقبون بمثل (سلطان الغزاة، والمجاهدين، وخادم الحرمين الشريفين، وخليفة المسلمين)^(٣).

واحرس أموال بيت المال من أن تتبدد:

إن السلاطين العثمانيين كانوا يرون أن الدولة هي الهيئة التنفيذية والمعبرة عن رأي الأمة، والمكلفة بحماية مصالحها، فمسؤولية الدولة ليست خاصة بالأمن والدفاع وإنما هي مسؤولية عن رعاية المصالح الاجتماعية وحماية بيت المال من الإسراف والتبذير والمحافظة على مصادر وموارد بيت المال وأهم موارد بيت المال هي:

- جمع الزكاة المفروضة وتوزيعها في مصارفها المشروعة.
- ترتيب الخراج على أملاك الدولة المعمورة وتحصيل عائداته للإنفاق العام على الجيش وتنمية المرافق العامة.
- جباية الجزية على المعاهدين مقابل إعفائهم من القتال مع المسلمين.
- تحصيل عشور التجارة على الواردات من خارج نطاق الدولة العثمانية.

(١) تاريخ الطبري، الجزء الثاني حوادث سنة ١٢٢هـ.

(٢) المسألة الشرقية، ص ٥٧.

(٣) المرجع السابق نفسه، ص ٦٦.

- التوظيف بقدر الحاجة على أفراد الأمة سواء كان تطوعياً أو إلزامياً لإنفاقها في دروب الجهاد وسائر المصالح العامة طبقاً لقاعدة المصالح المرسلة.
 - تشغيل الموارد وحمايتها كالحمل والمناجم وإحياء الموات، وتحصيل أنصبة الدولة منها لاستخدامها في مجالات الإنفاق الحكومي^(١).
 - وعلى الدولة أن تراقب النشاط الاقتصادي وتحرص على تطبيق أحكام الشرعية فيه، وتشمل:
 - ضبط المقاييس والمواصفات المعيارية التي يحتاجها الناس في أسواقهم مثل المكايل والموازين، ومواصفات البضائع الجيدة.
 - منع الغش، وإبطال العقود الفاسدة في البيع والعمل (الاستضاع).
 - الأمر بالمعروف في المعاملات كالصدق والعدل والوفاء في المعاملة كالبيع والشراء، والنهي عن المنكر في البيوع كالحلف الكاذب على السلعة.
 - منع تلقي الركبان والمناجشة في البيع والتدليس والغبن الفاحش وغيره من الأساليب التي تؤدي إلى العداوة والبغضاء بين الناس.
 - منع ترويج المحرمات كالخمر والخنزير وآلات القمار والميسر، ووسائل اللهو المؤدي إلى تمويت القلوب.
 - منع مظاهر الترف والإسراف، والتشجيع على نبذها^(٢).
- كان المطعم الخيري بجامع السلیمانیة تبلغ ميزانيته عام ٩٩٤هـ - ١٥٨٦م ما يعادل (١٠) عشرة ملايين دولار أمريكي إلا قليلاً^(٣). وهذا الرقم يبين مدى ضخامة ما ينفق من مبالغ مالية على إطعام الفقراء إذا قارنا هذا

(١) انظر: اقتصاديات الحرب في الإسلام، د. غازي التمام، ص ١٣٧.

(٢) انظر: اقتصاديات الحرب في الإسلام، د. غازي التمام، ص ١٣٨.

(٣) المصادر السابق نفسه.

المبلغ بالعملة التركية في تلك الفترة.

وهكذا كانت سياسة الدولة على مستوى السلاطين والأمراء والوزراء تضمن للمعوزين قوتهم وتكرم المستحقين بالإكرام. وبما أن العلماء هم بمثابة القوة المبنوثة في جسم الدولة فعظم جانبهم وشجعهم وإذا سمعت بأحد منهم في بلد آخر فاستقدمه إليك وأكرمه بالمال ... :

لقد اهتم السلطان محمد الفاتح بترتيب وظائف العلماء في الجوامع الكبرى ووضع لها تقاليد سابقة ونظمها بمرسوم خاص. وأهم الوظائف في المساجد الكبرى: الخطيب والإمام، والقيم والمؤذن، ويقوم المرشحون لهذه الوظائف بطلب العلم في المدارس الدينية الكبيرة التي كثيراً ما كان السلاطين والوزراء يتنافسون على تشييدها تنافساً نبيلاً، ويخضع الموظفون الدينيون في العاصمة لسلطة المفتي مباشرة وكان يتوب عنه في الولايات الكبرى قضاة العسكر؛ أما في الولايات الصغرى فكان الإمام يقوم بكافة المهام الدينية وخاصة في الأرياف.

وكانت المدارس التي تعد الموظفين الدينيين يوجد بها ثلاثة فئات من طلبة العلم: فـ(الصوفتا) وهي أبنائها، تليها فئة المعيدين الذي يحمل الطالب عند التخرج منها لقب (دانشمند) أو عالم، أما الفئة الأعلى فهي منصب المدرس، وبلغ عدد الصوفتا في عهد السلطان مراد الثاني ٩٠ ألفاً، وكانوا كثيراً ما يكون لهم أثر في شؤون الدولة^(١).

(١) انظر: تاريخ الدولة العثمانية، د. علي حصون، ص ٤٠٥.

وقد استحدث محمد الفاتح لقب شيخ الإسلام وهو الذي يترأس الهيئة الإسلامية في الدولة، وهو يلي السلطان في الأهمية، وكان التشريع والمحاكم والمدارس الملحقة بالمساجد وممتلكات الأوقاف الواسعة جميعها خاضعة له، كما كان خاضعاً له القضاة الشرعيون والقضاة العسكريون والمفتون، وكانت الأولوية في بداية نشأة الدولة العثمانية لقاضي عسكر الذي رافق الجيش المحارب، ثم صارت للمفتي رئيس العلماء والفقهاء في عهد السلطان سليمان القانوني وأصبح المفتي هو شيخ الإسلام نفسه، وحرص السلاطين على تدعيم سلطة شيخ الإسلام فكانوا يلجئون إلى استغلال سلطته والإفادة منها كلما تعرضوا لأزمة خطيرة، وبلغ من ازدياد سلطة شيخ الإسلام أنه كان يحق له إصدار فتوى بعزل السلطان نفسه^(١).

كما كانت الدولة لا تقدم على حرب دون صدور فتوى منه يقرر فيها أن أهداف هذه الحرب لا تتعارض مع الدين، وكانت أحكام المفتي نهائية لا معقب عليها^(٢).

لقد قامت الدولة العثمانية بتأسيس جهاز للهيئة الدينية الإسلامية وحرصت على أن تمتد جذورها في أوساط الشعب والجيش وكل رعايا الدولة المسلمين، وقد أصبح أفراد هذه الهيئة يتولون مناصب القضاء والإفتاء وتدریس علوم الدين واللغة والمشاركة على نحو ما في إدارة الأوقاف الخيرية وإقامة الشعائر الدينية والإشراف على المساجد والمؤسسات الدينية والخيرية مثل التكايا والأسبلة وغيرها. وكان أفراد من الهيئة الدينية الإسلامية الحاكمة يصحبون شتى فرق الجيش إلى ميادين القتال ويقومون قبل المعركة برفع معنويات الجنود روحياً ابتغاء رفع روحهم الجهادية، ويضربون للجنود أروع الأمثلة على

(١) انظر: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي، الحديث، ص ٨٩.

(٢) انظر: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي، الحديث، ص ٨٩.

استبسال الجنود المسلمين في صدر الإسلام حين انطلقوا على موجات بشرية متلاحقة من قلب شبه الجزيرة العربية واتجهوا شرقاً إلى العراق وفارس، وشمالاً إلى بلاد الشام، واتجهوا إلى مصر ثم شمال إفريقيا، وعبروا البحر المتوسط إلى الأندلس. ويذكرون لهم الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي تدور حول الجهاد الديني والفوز بإحدى الحسينيين: النصر أو الاستشهاد، ويشرحون لهم مواقف الصحابة واسترخاضهم الموت حتى استطاعت الجيوش الإسلامية وقتذاك أن تدك معازل دولة الفرس والدولة البيزنطية، كما كان رجال الهيئة الدينية الإسلامية يؤمون الجنود في صلاة الخوف وهم في ساحات القتال ...^(١).

وكان العلماء في تلك الفترة وعلى رأسهم شيخ الإسلام يعتمدون على الشريعة الإسلامية عند الخلاف مع السلطان أو الصدر الأعظم ولا يسمحون لهم أن ينحرفوا عن مبادئ الشريعة، وكان الشعب يقف معهم ويلتحم معهم في القضايا المصيرية؛ لأن العلماء كانوا يملكون القوتين الروحية والعلمية اللتين تمثلتا في ممارسة أعمال القضاء والإفتاء والإمامة والإشراف على المساجد وإقامة الشعائر الدينية وإدارة المؤسسات الخيرية، ونشاطهم في مجالات التعليم بشتى درجاته وعلى قمته الدراسات العليا في الكليات، حيث كانوا يقومون بتدريس علوم الشريعة الإسلامية وأصول الدين، ولذلك كانوا أكثر ثقافاً برجل الشارع وأكثر تفاهماً وتعاطفاً وتجاوباً مع الأهليين^(٢).

(١) انظر: للدولة العثمانية دولة إسلامية: ٤٥٥/١، ٤٥٦.

(٢) انظر: للدولة العثمانية دولة إسلامية: ٤٦٦/١.

الخاتمة

هذا البحث يتحدث عن وصية السلطان محمد الفاتح لابنه السلطان بايزيد الثاني وهو على فراش الموت والتي تعبر أصدق التعبير عن منهجه في الحياة وقيمه ومبادئه التي آمن بها والتي يتمنى من خلفائه من بعده أن يسيروا عليها. لقد قام محمد الفاتح بهذه المبادئ مع النصاري الذين أصبحوا من رعايا دولته وعندما دخل القسطنطينية فاتحاً كان يحارب حرب الإسلام (التي لا تهتك فيها حرمة، ولا يقتل فيه صبي ولا شيخ ولا امرأة، ولا يحرق فيها زرع، ولا يتلف فيها ضرع، ولا يمثل فيها إنسان، ولا تصيب إلا المقاتلين الذين يحملون السلاح في وجه المسلمين)^(١).

ولد السلطان بايزيد في القرن التاسع الهجري وعاش بين عامي ٨٥٠هـ - ٩٤٧م و ٩١٨هـ - ١٥١٢م، وكان أكبر أولاد أبيه السلطان محمد الثاني. وقد دربه أبيه على الحكم فحكم في عهد أبيه مقاطعة أماسيا، والسلطان بايزيد الثاني بن محمد الفاتح هو ثامن السلاطين العثمانيين، وتقلد الحكم عام ١٤٨١م، وكان يؤلف الشعر، ويتقن فن الخط العربي عالماً بأمور الدين والدنيا.

وفي هذا البحث تحدثت عن وصية السلطان العثماني السابع في سلسلة آل عثمان والذي كان يلقب بالفاتح وأبي الخيرات لابنه من بعده. حكم السلطان محمد الفاتح ما يقرب من ثلاثين عاماً كانت خيراً وعزة للمسلمين، وامتاز بشخصية فذة جمعت بين القوة والعدل، كما أنه فاق أقرانه منذ حداثة في كثير من العلوم التي كان يتلقاها في مدرسة الأمراء، وميله الشديد لدراسة كتب التاريخ، مما ساعده فيما بعد على إبراز شخصيته في الإدارة وميادين القتال،

(١) انظر: المسألة الشرقية، محمود ثابت الشاذلي، ص ١٠٤.

حتى أنه اشتهر أخيراً في التاريخ بلقب محمد الفاتح، لفتح القسطنطينية. وانتهج المنهج الذي سار عليه والده وأجداده في الفتوحات، وهو بصدد وصيته لابنه يريد منه أن ينتهج هذا النهج العظيم.

وهذه الوصية فيها من الأمور التي يحتاجها الحاكم في إدارة دولته ورعاية مصالح شعبه، رعاية مبنية على تحقيق العدل والحكمة المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وتجنب المحرمات والمنكرات وإكرام العلماء وتنمية الواردات والاستثمارات ومراقبة المصروفات حسب الحاجة وحسب الأحوال العامة التي كانت تعيشها الدولة العثمانية في تلك الفترة، وقد امتدت آثار هذه الوصية إلى أحفاد السلطان محمد الفاتح ومن أهمهم السلطان سليم الأول وابنه السلطان سليمان الأول "القانوني" الذي في عهدهما تم ضم البلاد العربية إلى الدولة العثمانية واستمرت الدولة العثمانية دولة كبرى عدة قرون ولكن مع تولى جمعية الاتحاد والترقي في بداية القرن العشرين الميلادي انهارت الدولة العثمانية بالفساد الذي ظهرت به هذه الجمعية.

قائمة المصادر والمراجع

١. د. إسماعيل ياغي: الدولة العثمانية فى التاريخ الإسلامى الحديث، مكتبة العبيكان، ط١، ١٩٩٦م.
٢. ثريا شاهين: دور الكنيسة فى هدم الدولة العثمانية، ترجمة د. محمد حرب، دار المنار للنشر، ط١، ١٩٩٧م.
٣. د. جمال عبد الهادى وآخرون: الدولة العثمانية أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ، دار الوفاء، ط١، عام ١٩٩٤م.
٤. د. زكريا سليمان بيومى: قراءة جديدة فى تاريخ العثمانيين، ط١، ١٩٩١م، عالم المعرفة، القاهرة.
٥. زيادة أبو غنيم: جوانب مضيئة فى تاريخ العثمانيين، دار الفرقان، ط١، ١٩٨٣.
٦. الطبرى، تاريخ الطبرى، الجزء الثانى حوادث سنة ١٢٢هـ.
٧. عبد السلام عبد العزيز فهمى: السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية وقاهر الروم، دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٨. عبد العزيز الشناوى: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية، مطابع جامعة القاهرة، ج٢، عام ١٩٨٠م.
٩. د. عبد اللطيف عبد الله دهيش: قيام الدولة العثمانية، ط٢، عام ١٩٩٥م، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة.

١٠. د. على حسونه: تاريخ الدولة العثمانية، المكتب الإسلامى، ط٣، ١٩٩٤م.
١١. القرماني: تاريخ سلاطين آل عثمان، دار البصائر، دمشق، سوريا، ط١، ١٩٨٥م.
١٢. قطب الدين محمد بن أحمد المكي: البرق اليماني في الفتح العثماني، دار اليمامة، الرياض، ط١، عام ١٩٦٧م.
١٣. قيس جواد العزوى: الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، مركز دراسات الإسلام والعالم، ط١، ١٩٩٤م.
١٤. د. محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة، المركز المصرى للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركى، القاهرة، ١٩٩٤م.
١٥. د. محمد حمدان: الجماعات اليهودية فى تركيا وأثرها على المجتمع التركى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، عام ٢٠٠٩م.
١٦. د. محمد على الصلابى: فقه التمكن فى القرآن الكريم، دار النشر الإسلامية مصر، ٢٠٠٤م.
١٧. د. محمد على الصلابى: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الإسلامية، بورسعيد، مصر، ط١، ٢٠٠١م.
١٨. محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، القاهرة، عام ١٨٩٦م، دار النفائس.
١٩. مسند الإمام أحمد ابن حنبل (٣٣٥/٤).

٢٠. د. نبيل عبد الحى: جهود العثمانيين لإتقان الأندلس، مكتبة الطالب الجامعى، ط١، ١٩٨٨م.

٢١. نيقولا باربارو: الفتح الإسلامى للقسطنطينية يوميان الحصار ١٤٥٣م، دراسة وترجمة وتعليق د. حاتم الطحاوى، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ط١ عام ٢٠٠٢م.

٢٢. يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سلمان د/محمود الأنصارى، مجلدا١، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، اسطنبول.

٢٣. يوسف آصاف: تاريخ سلاطين آل عثمان، تحقيق بسام الجبائى، دار البصائر، ط٢، ١٩٨٥م.